فقال العالم صدق الاسم المريد وسبق على بايجادكم ولكن الادب اولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهو اسم الله فلا بد من حضورنا عنده فاتوه
حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها اليه قالت لهم فيقولون ادخل على مدلولى فدخل عليه فقال له ما قالت الممكنات وما ذكره الاسماء فقال
اخرج وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فخرج الاسم الله ومعه اسم المتكلم يترجم عنه للممكنات و
الاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والمريد والقادر بالحقايق فظهرت الممكنات بترجمة المتكلم ثم انه لما ظهرت الاعيان و
الاثار في الاكوان وتسلط بعضهم على بعض وقهر بعضهم بعضا بحسب ما يستند اليه من الاسماء تادى ذلك الى منازعة وعظام الايجاد
تنطفى نايرة دايرة دون ان تفسد النظم ويختل الامر ويبطل اثر الظهورات بالكلية فعند ذلك لجات الممكنات مرة اخرى الى
الاسماء وقالوا انا نخاف علينا ان تفسد نظامنا ونلحق بالعدم الذى كنا فيه فلو كان لكم في حكمكم ميزان معلوم وحد مرسوم
بامام ترجعون اليه يحفظ علينا وجودنا ويحفظ تاثيركم لكان اصلح لنا ولكم فلجوا الى الله واطلبوا من يحكم حدا تقفون عنده
ففعلوا ذلك فخلق الاسم الرب لهم ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة بواسطة من الفيض الالهى ما هو وراء طور العقل فايدة بانزال الكلام
اليه من عنده يعين لهم الافعال المقربة الى الله تعالى ويبين لهم الحدود ويضع السياسات الشرعية ويعلمهم بما خلق الله مما غاب عنهم وما يكون
منه سبحانه ويعلمهم فيهم في المستقبل من البعث والنشور والجنة والنار فوعد ترغيبا الى الطاعة واوعد ترهيبا عن المعصية فتم بذلك بقاء النظم
واصلاح الدنيا ويتبين به سلوك طريق النجاة في الاخرة ونيل السعادات الابدية فبالكلام بدا الامر وبه بقى النظم فبالاولى ان يعود
بالمثل في هدى وهو في الاكوان نهاية مراتب الوجود فان ظهوره التام في الانسان وهو النوع الاسفل فيه اتصلت البداية بالنهاية

فصل باطن الكلام طالب لظهوره في صورته الكونية والاهوتية متعشقة للتجلى في رتبة ناسوتية الانسانية فالقارى
ثاب لقراءته ونيل معنى الحق تبيلا وقد من جهة انه جعل نفسه واسطة لوصول حقيقة الكلام الى مطلوبه طريقا لبلوغ المحبوب الى محبه
فينال من الرتبة العليا والمكانة الزلفى ما كتب له بكل حرف عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات ويرفع له به عشر درجات هذا وان
لمستظهر القرآن الماهر به شانا عليا وفضلا جليا ازداد به على غير المستظهر قدرا وهو انه اعطى الكلام كمالين في مشهدين وساعده
في حصول مطلوبين احدهما وقد شاركه فيه غير المستظهر هو ما خلع عليه من لباس الصوت والحرف في مشهد الحس والثانى ما اختص به
من الباس الصور المثالية في مشهد الخيال وقد ورد في الخبر ان من استظهر القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه ولنا هيه هذا
الشان يحكى ان الشيخ ابا يزيد البسطامى قدس ما خرج من الدنيا حتى استظهر القرآن وهذه القاعدة تريك الى معرفة رفعة شان
القارى العالم بمعانى آيات الكتاب المبين المبلغ لمضامينها الى مسامع الطالبين فانه يعطى حقيقة القرآن مقتضى الاصل من ارشاد
الغاوين وتخليص الحايرين فيتنزل معناه من اوج الالوهية الى حضيض البشرية حلا مبينا وليستنقذ به المستهلكين في اودية الضلالة
وغيابات الغواية انقاذا مبينا وادى قدر شكر الى طريق ثواب القارى واجره فلا يذهب بك توهمات العقول الذاهبة انا قصدنا
الزجر عن الحق اللايح فتكون في ريب من ثواب التلاوة عرية عن فهم المعنى تتوهم زوال الالفاظ الحسية قضاء بانقضاء زمان
القرآن في صورة عرضية نهاية مراتب الوصف الالهى في النزول لما انا نازل في مدارج النزول راجع لامحالة في معارج الرجوع الى

ما بداء منه

ما بداء منه فان الانعدام بعد الوجود محال وانما الامر انتقال من حال الى حال فهو الحبل المتين بلفظه كما انه الحبل المتين بمعناه يعرج بوجه
من اعتصم به اعتصام الهادى في مهاوى المهالك بالحبل الممدود والرجوع رجوعا الى مدارج المقصد فليعتصم به من اراد النجاة
والفوز بالدرجات وفي بحر الحقائق ان الانسان خلق مستعدا للعروج الى الوطن الاصلى والمنزل الحقيقى الذى خرج منه عند التكوين
بامر كن وشرف بخطاب ارجعى والقرآن حبل ممدود من الحق تعالى انزل الى العباد ليعتصم احد طرفيه في حظيرة الامر والاخر عند المامورين
وقد سماه الحق تعالى الحبل فانه مشتمل على الامر والنهى والوعد والوعيد والترغيب والترهيب لا يمكن الاحسان يرجع الى ما نزل منه الا
بالاعتصام بذلك الحبل ولهذا قال فاعتصموا بحبل الله فانه الصراط المستقيم الى الله وقال عليه السلام يقال لصاحب القرآن اقرأ و
ارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها حديث صحيح فهذا ايذان على ان عدد آى القرآن على قدر درج
المقامات بين العبد والرب فمن استوفى جميع آى القرآن فهما وعملا به استوى على اقصى درج القرب الى الله تعالى في الرجوع اليه
بهذه الحكمة كان آخر آية نزلت على النبى صلعم فيما رواه عبد الله بن عباس رضى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فانه
تعالى ختم عباده بالرجوع اليه في آخر آى القرآن وامرهم به ليعلموا ان الحكمة في انزال القرآن ان يكون معتصم العباد وصراطهم
وجادتهم الى الله تعالى لا يرضى من العباد بالرجوع الى غيره كما قال تعالى ان الى ربك الرجعى رزقنا الاعتصام بحبله المتين والرجوع اليه في
مدارج ارباب المتقين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين **فصل** قال رسول الله صلعم ان للقرآن ظهرا وبطنا ولكل
حد ومطلع يعنى ان له ظاهرا ينطق بلسان العبارة من مدلولاته اللغوية والتركيبية بالاوضاع الجزئية السماعية والاوضاع الكلية
القياسية ولنا له باطنا ينطق به لسان الاشارة من فهوماته العقلية المستفادة بطريق الحدس والكشف المستفاض من المبدا بتصفية
المحل وتخليته عن التخيلات النفسانية القلبية والتمحلات الفضلية الغالبة المشار اليها بقوله عم لولا ان تزيد في قلوبكم وتزيد
في السنتكم لرايتم ما ارى ولسمعتم ما اسمع وان لكل واحد من الظهر والبطن حدا ينتهى اليه افهام البشر فيما الفشا الادنويه ومطلعا
هو الامر الذى به يقع الاطلاع اما على الظاهر وعلى البطن اما مطلع الظهر فمعرفة لغة العرب واساليب نظمهم وخواص تراكيبهم على الوجه المبين
في الكتب الادبية واما حده فهو فهم اللوازم البعيدة والاستدلالات الدقيقة في المسائل الاجتهادية واما مطلع بطنه فتصفية
الباطن عن الهوى المتبع والغوائل الطبيعية والتعرض لنفحات انفاس عالم القدس والتوجه الى المبارك العالية واما حده فشهود المتكلم
بالنقطن لتجلى الذات في ملابس الصفات واذا كان الامر على ما قررناه فلا يسع احدا ان يتكلم في شىء من التاويلات التى لارباب الطريقة
بتطبيق الاذواق بالانفس والعبور عن ظواهر المفهومات الى لوازمها ما لم يدع مدعيه قصر المعنى عليه وطرح الظاهر عن البين وما لم يورط نفسه
بالزام التاويل في كل آية حتى يقع في ورطات التكلفات الباردة التى تعاف منها الطباع الزكية ودرى ان يستغنى عن التحقيقات
التى استنبطها الراسخون في العلم في محكمات القرآن ومتشابهاتها مما نقلت عنه تفاسير السلف والاقوال المنقولة عنهم بزعم كونه
ممنوعا بحكم المنع عن التفسير بالراى وهو لا يدرى عن سهو وهمه او تهاوره تحت حكم وهمه ان ذلك المنع في المتشابهات التى امرنا ان نكل
علمها الى الله او مواضع موقوفة على السماع يجب على المفسر تلقيها من السلف عن العلم بالناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمجمل والمبين

Copyright © King Saud University